مَنَاسِكُ الحج

ويليها

أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها
وبعض الأحاديث الواردة في فضله ﷺ
وخطبته يوم حجة الوداع

جمع وترتيب

عبد الله سراج الدين



أيّها القارئ الكريم :

اقرأ سورة الفاتحة كلّما قرأت في كتاب من كتبي، وأهدِ ثوابها إلى العلّامة الشهير، والعارف الكبير، حامل لواء الحجة بالكتاب والسنّة، المفسّر والمحدّث بالأسانيد المتصلة، عن كبار المحدّثين - في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية - بإجازات عالية الأسانيد - محفوظة عندي - سيّدي وشيخي والدي الكريم، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني رحمه الله تعالى، وجزاه عن المسلمين خيرًا، إنّه هو السميع العليم.

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مناسك الحج

ويليها

أحكام زيارة النبي ﷺ وآدابها

وبعض الأحاديث الواردة في فضله ﷺ

وخطبه يوم حجة الوداع

جمع وترتيب

عبد الله سراج الدين

١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

الطبعة الثالثة

معدّلة ومزيدة

مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٢٢١٥١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذه إيضاحات وبيانات ، وجملة من الدعوات المأثورات ؛ يستعين بها الحاج والمعتمر على أداء حجه وعمرته ، وترشده إلى ما جاء عنه ﷺ من أدعيته وسنته ، وتذكر الزائر ببعض ما يجب له ﷺ عند زيارته ، وَتُعلمه بعض ما يدعو به عندما يَفِدُ عليه ﷺ ؛ ويحطّ في ساحته .

والله تعالى أسأل وبرسوله ﷺ أتوسل أن يجعلني وإياكم من عباده المخلَصين المخلِصين ، إنه مجيب دعوة الداعين؛ والحمد لله رب العالمين.

فريضة الحج:

الحج ركن من أركان الإسلام ، وفَرْضٌ محكم ، فرضه الله تعالى في كتابه ، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وهو فرض في العمر مرة واحدة ، وما زاد على ذلك فهو تطوع.

روى الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن الله كَتب عليكم الحج».

فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟

فقال: «لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت ـ أي: في كل عام ـ لم تعملوا بها؛ ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع».

وفريضة الحج فورية على أصح الروايات عن أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله تعالى ، أخذاً بما رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال: «من أراد الحج فَلْيُعَجِّل».

قال في الدر: فَيُفسَّق وترد شهادته بتأخيره سِنين ، لأن تأخيره صغيرة ، وبارتكابه مرة لا يفسق إلا بالإصرار. اهـ

وذلك بأن يتكرر منه التأخير عدة مرات على وجه يُشْعر بقلّة المبالاة بدينه ، إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك؛ فإذا حج ارتفع عنه إثم التأخير.

وعند الشافعية فريضة الحج على التراخي.

فما زاد على حجة واحدة فهو تطوع ، محبوب شرعاً ، مرغوب فيه ؛ لما وَرد في ذلك من عظيم الأجر ، وضمان المغفرة .

وَيُؤكَّد استحبابه في كل خمس سنين ، لما رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «يقول الله عزّ وجل : إنَّ عبداً صحَّحت له جسمه ، ووسَّعتُ عليه في المعيشة ، تمضي عليه خمسة أعوام لا يَفِدُ إليَّ لمحروم» رواه ابن حبان في (صحيحه) والبيهقي .

العمرة :

العمرة عند الحنفية سنة مؤكدة في العمر مرة واحدة ، وقال قوم : بوجوبها وعليه الشافعية ، وما زاد على مرة فهو تطوع محبوب ؛ لما فيه من عظيم الأجر .

قال رسول الله ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكِيْر خَبث

الحديد؛ والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وإن العمرة في رمضان لها أجر حَجَّة ، لِمَا روى أبو داود والنسائي ، عن أمِّ معقل رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله إني امرأة قد كبرت سني ، وسَقِمْتُ ، فهل من عمل يَجزي عني من حجتي؟

فقال: «عَمْرة في رمضان تعدل حجة».

فضائل الحج والعمرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجَّ فلم يرفث[1] ولم يفسق: رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج

---

(١) الرفث: يطلق ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش في القول ، ويطلق ويراد به الكلام فيما يتعلق بالجماع ، وينبغي لمن أحرم أن يَبْعد عن هذا كله.

المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» رواه البخاري ومسلم ، والأصبهاني وزاد: «وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبّر من تكبيرة ؛ إلا بُشِّر بها تبشيرة».

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمّار وفد الله ، إنْ دَعَوه أجابهم ، وإنِ استغفروه غفر لهم» رواه النسائي.

وروى الطبراني عنه ﷺ أنه قال: «حجوا ، فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدَّرَن».

وينبغي التعجل إلى الحج ، لما في (المسند) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تعجَّلوا إلى الحج - يعني: الفريضة - فإن أحدكم لا يدري ما يَعْرِض له».

تحذير المستطيع من ترك الحج:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فقد شدد النكير في هذه الآية على من ترك الحج مع الاستطاعة ، فوصفه الله تعالى بالكفر تغليظاً وانكاراً على تاركه ، لأنَّ ترك الحج مع الاستطاعة هو فعل الكَفَرَةِ.

ويدل على هذا ما رواه الترمذي والبيهقي، عن النبي ﷺ أنه قال: «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾» الآية.

وأما ترك المستطيع الحج منْ غير عذر مُستحلاً فهو كفر أكبر يُخرج عن الملّة.

شـروط الـحـج:

هـي أربعـة أنـواع:

الأول: شروط الوجوب : وهي التي إذا وُجدت بتمامها فُرِضَ الحج ؛ وإلا فلا يفرض :

وهي سبعة: ١ ـ الإسلام ، ٢ ـ والعلم بفرضية الحج ، وذلك إما بالكون في دار الإسلام ؛ وإما بإخبار عدل أو مَسْتورَيْن ، فمن كان في دار الإسلام يُعتبر عالماً ، وأما من أسلم في دار الحرب فلا يعتبر عالماً بالفرضية إلا بخبر عدل ؛ أو مَسْتورَين.

٣ ـ والبلوغ ، ٤ ـ والعقل ، ٥ ـ والحرية ، ٦ ـ والاستطاعة ، ٧ ـ والوقت أي: القدرة في أشهر الحج؛ أو وقت خروج أهل بلده.

النوع الثاني: شروط أداء الحج: وهي التي إنْ وُجدت بتمامها مع شروط الوجوب وجب أداؤه بنفسه ، وإنْ فُقِد بَعْضها مع تحقق شروط الوجوب فلا يجب الأداء بنفسه ، بل عليه الإحجاج أو الإيصاء عند الموت.

وهذه الشروط خمسة: ١ ـ سلامة البدن[١] ،

(١) أي: سالم من الآفات المانعة عن القيام بما لابد منه في =

٢ ـ أمن الطريق ، ٣ ـ وعدم الحبس ، ٤ ـ ووجود المَحرم أو الزوج للمرأة ، ٥ ـ وعدم العدة لها .

= السفر ، فلا يجب على مُقعد ، ومفلوج ، وكبير سن لا يثبت على الراحلة أو المركوب بنفسه ، ولا يجب على الأعمى وإن وجد قائداً ، ولا على محبوس ، وخائف من سلطان ؛ لا يجب عليهم أن يحجوا بأنفسهم ولا بالنيابة عنهم في ظاهر المذهب عن الإمام ، وهو رواية عن صاحبيه بناء على أن ذلك من شروط الوجوب ، ولكن ظاهر الرواية عنهما أن ذلك من شروط وجوب الأداء ، فيجب على من تقدم ذكرهم الإحجاج عنهم ، أو الإيصاء ؛ ويجزيهم الإحجاج إن دام عجزهم ، فإن زال أعادوا بأنفسهم ، ولو تكلفوا الحج بأنفسهم سقط عنهم .

وحكى في (اللباب) : اختلاف التصحيح .

وفي شرحه : إنه مشى على الأول في (النهاية) .

وقال في (البحر العميق): إنه المذهب الصحيح ، وإن الثاني صححه قاضيخان ، واختاره كثير من المشايخ ومنهم ابن الهمام . اهـ ملخصاً من (رَد المحتار) ، فارجع إليه إنْ أردت التفصيل .

النوع الثالث: شروط صحة أداءالحج:

وهي تسعة: ١ ـ الإسلام ، ٢ ـ والإحرام ، ٣ ـ والزّمان ، ٤ ـ والمكان ، ٥ ـ والتمييز ، ٦ ـ والعقل ، ٧ ـ ومباشرة الأفعال إلا بعذر ، ٨ ـ وعدم الجماع ، ٩ـ والأداء من عام الإحرام.

النوع الرابع: شروط وقوع الحج عن الفرض:

وهي تسعة أيضاً: ١ ـ الإسلام ، ٢ ـ وبقاؤه إلى الموت ، ٣ ـ والعقل ، ٤ ـ والحرية ، ٥ ـ والبلوغ ، ٦ ـ والأداء بنفسه إن قدر ، ٧ ـ وعدم نية النفل ، ٨ ـ وعدم الإفساد ، ٩ ـ وعدم النية عن غيره.

ماذا يعمل عندما يريد السفر للحج:

يستحب له أَنْ يودع أهله وإخوانه ، ويقول لكل منهم: **أستَوْدِعُكَ الله الذي لا تضيع ودائعه.**

والسنة أن يقول له من يودعه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

ويستحب عند إرادة الخروج للسفر أَنْ يصلي ركعتين ، لما رواه الطبراني ، أن رسول الله ﷺ قال: «ما خلَّف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً».

ويقرأ فيهما بعد الفاتحة : ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فإذا سلم قرأ آية الكرسي ؛ لِمَا رود أَنَّ من قرأها قبل خروجه من منزله لم يصبه شيء يكرهه حتى يرجع.

فإذا تحرك للسفر يقول: **اللهم إليك توجَّهْتُ ، وبك اعتصمت.**

اللهم اكفني ما أهمَّني وما لا أهتم له.

اللهم زودْني التقوى واغفر لي ذنبي ، ووجهني للخير أين توجهتُ.

فإذا ركب كبر ثلاثاً ثم قال: ﴿سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطْوِ عنا بُعده.**

اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل .

اللهم إني أعوذ بك من وَعثَاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل .

أنواع نسك الحج ثلاثة :

القِران ، والتمتع ، والإفراد :

فالقِران هو : أن يُحرم لحج وعمرة معاً من الميقات ، أو قبله في أشهر الحج ؛ أو يحرم قبلها .

وأشهر الحج هي: شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذي الحجة .

التمتع هو: أن يُحرم للعمرة ، فيأتي بها أو أكثر أشواطها في أشهر الحج ، ويطوف ويسعى ، ثم يتحلل ثم يُحرم للحج .

والمفرد هو: الذي يُحرم للحج فقط .

وأفضل الأنواع الثلاثة القران ، لما رواه الإمام أحمد ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهلّوا يا آل محمد بعمرة في حج».

وروى البخاري، عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».

فالقِرَان في حد ذاته أفضل من التمتع، ولكن مَنْ كان في عُرضة الوقوع في محظورات الإحرام؛ فالتمتع أولى له ليسلم حجه؛ ويكون مبروراً.

متى يُحرِم وكيف يُحرِم؟

إذا وصل الحاج إلى الميقات أحرَمَ، فيُحرم راكب البر والبحر عندما يقارب: رابغ أو أبيار علي ـ ذو الحليفة ـ وأما راكب الطائرة فالأولى له أَنْ يُحرمَ أول ركوبه في الطائرة أو بعده بمدة يسيرة، ولا يؤخر إحرامه حتى يصل إلى رابغ أو أبيار علي ـ الميقات ـ خشية أن يُجاوز الميقات بدون إحرام؛ بسبب سرعة

الطائرة ، فالأولى له أن يُسرع في الإحرام قبل وصوله إلى رابغ أو أبيار علي ـ الميقات ـ.

كيف يُحْرِم :

الإحرام هو : النية والتلبية ، أو ما يقوم مقامها[١].

فإذا أراد أَنْ يُحرم يستحب له أَنْ يقص شعر أو يحلقه على حسب عادته من قَبل ، وأنْ يقص أظفاره ويزيل عانته ، وأن يتوضأ والغسل أفضل حيث أمكن ، ثم يلبس إزاراً ورداء طاهرين ، ويستحب أَن يُطَيِّب بدنه ، ثم يصلي ركعتين في غير وقت الكراهة ، ثم يقول : اللهم إنّي أريد العمرة[٢] فيسّرها لي ، وتقبّلها مني وينوي

---

(١) كسوق البدنة والتوجه معها ونحو ذلك.

(٢) هذا إذا أراد أن يَتمتع ، فَيُحرم أولاً بالعمرة ، ثم يؤدي أفعال العمرة عندما يصل إلى مكة المكرمة ، ثم يتحلل ، ثم بعد ذلك لما يقارب يوم عرفة يُحرم بالحج ، ويؤدي أفعاله ، وهذا هو الذي يفعله أكثر الناس.

وأما إذا أراد أنْ يَقرن بين الحج والعمرة فيقول : اللهم نويت العمرة والحج فيسرهما لي ، وتقبلهما مني لبيك اللهم إلخ ، =

بقلبه العمرة ويقول: لبَّيْك اللهم لبيك[1] ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك ، لا شريك لك.

وهذه الصيغة تسمى التلبية ، ويسن تكرارها ثلاثاً.

ويستحب أن يُصلِّي على النبي ﷺ بعد التلبية ، وأن يدعو لنفسه ولمن أراد بخير الآخرة والدنيا ، ويقول: اللهم إني أسألك رضاك والجنة ، وأعوذ بك من غضبك والنار.

ويستحب الإكثار من التلبية في كل حال؛ قائماً وقاعداً ، وماشياً وراكباً ، ومضطجعاً ، ونازلاً وسائراً ،

= ويبقى محرماً إلى يوم النحر ، فيرمي ، ثم يذبح ، ثم يحلق شعره أو يقصره .
وأما إذا أراد أن يُفرد بالحج فيقول: اللهم إني نويت الحج فيسره لي وتقبله مني لبيك اللهم إلخ.

(١) ومعنى لبيك: أنا مقيم على طاعتك وإجابتك يا رب دائماً مرة بعد مرة.

وعند تجدد الأحوال وتغايرها زماناً ومكاناً : كإقبال الليل والنهار ، وعند الأسحار ، واجتماع الرفاق ، وعند القيام والقعود ، والصعود والهبوط ، وأدبار الصلوات ، وفي المساجد، فقد روى الترمذي، عنه ﷺ أنه قال: «ما لبّى مُلبٍّ إلا لَبَّى الذي يليه مِنْ هاهنا وهاهنا ، عن يمينه وشماله» .

وفي رواية: «إلا لبى ما عن يمينه وعن شماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض» .

ويستحب رفع الصوت بالتلبية بلا مشقة ، لما في الترمذي وغيره ، أنه ﷺ سُئِل أَيّ الحج أفضل؟ قال: « العجّ والثجّ» أي: رفع الصوت بالتلبية[1] .

ويستحب أن يكرر التلبية ثلاث مرات فأكثر ، ويأتي

---

(١) ويستحب أن يزيد في التلبية ما ورد من المأثورات ، ومن ذلك أن يقول: لبيك وسعديك ، والخير بيديك ، والرغباء إليك ، إلَـهَ الخلق لبيك بحجة حقاً ، تَعَبُّداً وَرِقّـاً ، لبيك إنَّ العيش عيش الآخرة.

بها متوالية لا يقطعها بكلام ولا غيره[1].

ما لا يجوز للمحرم فعله:

متى قارب الحاج الميقات: رابغ أو أبيار علي ونوى العمرة[2] وأتى بالتلبية، فإنه حينئذ يصير محرماً أي: داخلاً في حُرمات خاصة قد التزمها، فيجتنب الجماع؛ ودواعيه من التقبيل واللمس بشهوة، ويجتنب ذكر الجماع في حضرة النساء، ويجتنب الخصومة مع الرفقاء والخدم والمكارين، قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾، ويجتنب التطيب، وقص الأظفار، ويجتنب ستر الوجه[3] كله أو بعضه؛ كفمه

---

(١) يُستحسن لكل إنسان إذا رأى شيئاً فأعجبه أو ساءه أن يقول: لبيك إن العيش عيش الآخرة كما في (شرح الأذكار).

(٢) أو نوى الحج، أو نوى العمرة والحج معاً كما تقدم.

(٣) أما المرأة فإنها تستر وجهها عن الأجانب خوف الفتنة، فتسدل على وجهها شيئاً مُتجافياً بحيث لا يمس الوجه بل يَبْعد عن الوجه قليلاً.

وذقنه ، ولا بأس بوضع يده على أنفه لغبارٍ أو نحو ذلك ، ويجتنب الرجل ستر الرأس ـ وأما إظلاله بمظلةٍ ونحوها فلا بأس.

ويجتنب غسل رأسه ولحيته بما له رائحة طيب؛ بخلاف الصابون غير المطيب وما لا طيب فيه فلا بأس به.

ويجتنب قص اللحية وشعر الرأس وحلقه ، وإزالة شعر بدنه .

ويجتنب لبس كل مخيط لبساً معتاداً ؛ كلبس القميص والسراويل ، وعمامة ، وقلنسوة ، وخفين ، وجوربين ؛ ونحو ذلك.

مباحات الإحرام:

يجوز للمحرم أَن يغتسل بقصد الطهارة أو إزالة الغبار؛ أو للتبرد ، ولكن بدون أن يستعمل ما فيه طيب كما تقدم ، ويجوز أن يكتحل بغير مطيب ، وأن يفتصد أو يحتجم ، أو يقلع ضرسه ، أو يجبر كسره ، أو يحك

رأسه وبدنه لكن برفقٍ حتى لا يسقط شيء من شعره ، ويجوز له أن يشد على وسطه فوق الإزار أو تحته المنطقة (الكمر) لوضع الدراهم .

ماذا يعمل الحاج إذا دخل مكة المكرمة :

إذا دخل مكة المكرمة يقول: **اللهم هذا حرَمُكَ وأمنُكَ فحرّمني عن النار ، وأمِّنّي من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك.** [1]

ويدعو بما أحب ، ثم يبدأ بالمسجد الحرام بعدما يأمن على أمتعته ، داخلاً من باب السلام ، ملبّياً ، متواضعاً خاشعاً لله تعالى ، مُلاحظاً جلالة البقعة المباركة ، ويكبّر حين يشاهد الكعبة البهية ثلاثاً ، ويهلل ، ويدعو الله تعالى ، فإن الدعاء عند رؤية الكعبة مجاب ، لما روي عنه ﷺ أنه قال: «تفتح أبواب السماء ، وتجاب دعوة المسلم عند رؤية الكعبة»

---

(١) ويسن له أن يغتسل قبل دخول مكة إن تمكن.

ويصلي على النبي ﷺ ، ويقول: اللهم زِدْ هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة ، وزِدْ من شرّفهُ وكرّمَهُ ممَّن حجَّهُ أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ومهابةً وبِرّاً[١] .

ويقول: اللهمَّ أنت السلام ، ومنك السلام ، فحيِّنا ربنا بالسلام ، ويدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة .

ثم بعد ذلك إن كان نوى العمرة فقط[٢] لَمَّا أحرم ـ بأن كان متمتعاً ـ فإنه يطوف طواف العمرة سبعة أشواط ، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعاً ، ثم يتحلل بالحلق أو التقصير .

---

(١) كما رواه الشافعي والطبراني عنه ﷺ .
(٢) وأما إن كان نوى الحج لمَّا أحرم ـ بأن كان مفرداً بالحج ـ فإنه يطوف طواف القدوم سبعاً ، ويسعى سبعاً أيضاً ، ويبقى مُحرماً حتى يتحلل يوم النحر ، وأما إن كان نوى العمرة والحج معاً ـ بأن كان قارناً ـ فإنه يطوف للعمرة ، ويسعى ، ويبقى محرماً بالحج حتى يتحلل يوم النحر .

أنواع الطواف :

الطواف على أنواع :

الأول : طواف القدوم ويسمى طواف التحية واللقاء ، وهو سنة للآفاقي: المفرد بالحج والقارن ، وأول وقته حين دخوله مكة ، وآخره وقوفه بعرفة .

الثاني: طواف الزيارة ويسمى طواف الركن ، والإفاضة ، وطواف الحج ، والفرض ، وهو ركن لا يتم الحج إلا به ، وأول وقته طلوع الفجر من يوم النحر ، ولا آخر له من حيث الجواز إلا أن الواجب فعله في أيام النحر.

الثالث: طواف الصدر ويسمى طواف الرجوع ، والوداع ، وهو واجب على الآفاقي ، وأول وقته بعد طواف الزيارة ، ولا آخر له .

الرابع: طواف العمرة وهو فرض في أدائها ، وأول وقته بعد الإحرام بها ، ولا آخر له في حق أدائها .

الخامس: طواف النذر وهو واجب بالنذر.

السادس: طواف تحية المسجد وهو مستحب لمن دخل المسجد الحرام؛ إلا إذا كان عليه غيره من الأطوفة فيقوم ذلك مقامه ، وإن بدا له أن يجلس قبل أن يطوف فيصلي ركعتين في غير وقت كراهة.

السابع: طواف النافلة التي يَتَطوع ويتقرب بها العبد إلى الله تعالى ، وهو جائز في جميع الأوقات[1].

كيف يطوف:

ثم إذا أراد أن يطوف طواف العمرة أو القدوم أو أيَّ طواف كان من أنواع الطواف؛ فإنه يقف مستقبل البيت بحيث يكون الحجر الأسود عن يمينه محاذياً لمنكبه الأيمن ثم ينوي الطواف الذي يريد أداءه ، فالذي يريد أن يؤدي طواف العمرة مثلاً ينوي طواف العمرة ، ثم يمشي ماراً إلى يمينه حتى يستقبل الحجر الأسود تماماً

(١) كما فصل ذلك كله الشيخ ملا علي في (شرحه).

فيقول[1] : بسم الله والله أكبر ، اللهمَّ إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسُنّة نبيّك ﷺ[2] .

ثم يستلم الحجر وذلك بأن يضع كفيه على الحجر الأسود ، ويضع فمه بين كفّيه ويقبله ثلاثاً ، ويستحب أن يسجد عليه إن تمكَّن ، ويستلم الحجر الأسود كلما مر عليه في الطواف[3] .

---

(١) بعد أن يرفع يديه حذاء مَنكبيه ، ويجعل باطنهما نحو الحجر الأسود.

(٢) ويستحب أن يُكرر هذه الصيغة كلما حاذىٰ الحجر الأسود في طوافه.

(٣) تنبيه: ينبغي تقبيل الحجر الأسود بلا إيذاء ومدافعة شديدة ، فإن التقبيل سنة وترك الإيذاء واجب ، وإذا لم يمكنه التقبيل بلا إيذاء فيمد يده أو نحوها كالعصا ويمسها بالحجر ثم يقبلها ، وإن عجز عن هذا كله بأن كان بعيداً عن الحجر الأسود فحينئذ يقف مستقبلاً للحجر ، ويرفع يديه حذاء أذنيه أو منكبيه ، ويجعل باطنهما نحو الحجر الأسود مشيراً بهما إليه كأنه واضع كفيه على الحجر ثم يقبلهما ، يفعل ذلك كلما مر على الحجر الأسود حال الطواف. =

ثم بعد أن يستلم الحجر الأسود يَشْرع في الطواف الذي نوى أداءه ، جاعلاً البيت الشريف عن يساره؛ لأن بيت المعرفة بالله تعالى والإيمان به وهو القلب في التجويف الأيسر من الصدر ، فتقع المحاذاة بين بيت الإيمان والعلم والمعرفة وبيت الصلاة والحج والعبادة.

أدعيـة الـطـواف :

يستحب أن يقول عند الباب :

اللهـمَّ إن البيت بيتـك ، والحـرَمَ حرمُـكَ ، والأمـن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار.

ويقول عند الركن العراقي :

اللهمَّ إني أعوذ بك من الشَّكِّ ، والشرك ، والشِّقاق ، والنفـاق ، وسـوءِ الأخـلاقِ ، وسـوء المنظـر فـي المـال والأهل والولد.

= ويستحب أن يقول كلما استلم الحجر أو أشار إليه : بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك ؛ إلى تمام الصيغة المتقدمة.

ويستحب أن يستلم الركن اليماني كلما مر عليه في الطواف ، وذلك بأن يمس الركن بكفيه ، أو بيمينه ، وإذا عجز عن ذلك للزحام تنوب الإشارة إليه .

ويستحب الدعاء عند الركن اليماني فإنه مستجاب ، لما رُوي عنه ﷺ أنه قال: «إنّ الله وكَّل بالركن اليماني مَلكاً يقول: آمين آمين ، فقولوا إذا انتهيتم إليه: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾» .

وفي رواية: «عند الركن اليماني سبعون ملكاً»

فما قولك في دعاء يُؤمن عليه سبعون ملكاً عند البيت المكرم ، ومن المأثور أن يقول عنده: **اللهمَّ ، إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة** ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان ﷺ إذا استلم الركن اليماني قبَّلهُ ووضع خدّه عليه .

ويقول بين الشامي واليماني:

اللهم اجعله حجاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً، وعملاً مقبولاً، وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور.

ويدعو بين الركنين: اليماني والحجر الأسود، فقد روى الحاكم أنه ﷺ قال: «ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدتُ جبريل عنده فقال: قُلْ يا محمد.

قلتُ: وما أَقول؟

قال: قل: **اللهمَّ إني أعوذ بك من الكفر والفاقَةِ، ومواقف الخِزي في الدنيا والآخرة.**

ثم قال جبريل: إنّ بينهما سبعين ألف ملك، فإذا قال العبد هذا قالوا: آمين».

ويُكثر في الأشواط الثلاثة[1] من قوله: **اللهمَّ اجعله**

---

(١) يسن الرمل والاضطباع في كل طواف بعده سعي كطواف العمرة مثلاً.
=

حجاً مبروراً ، وذنباً مغفوراً ، وسعياً مشكوراً .

وفي الأربعة الباقية يقول: **اللهم اغفر وارحم ، واعفُ عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم ، اللهم** ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

ويكثر الدعاء مِمّا فيه خير الدنيا والآخرة .

ثم متى طاف سبعاً ختم باستلام الحجر الأسود كما بدأ ؛ عملاً بالسنة ، أو أشار إليه بكفيه إنْ لم يتمكن من الاستلام .

ويجب عليه صلاة ركعتين بعد كل سبعة أشواط طافها ، ويستحب مؤكداً أنْ يُصليهما خلف مقام سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

أما الرَّمَل فهو أن يمشي بسرعة متقارب الخطوات مع اهتزاز الكتفين ، يفعل ذلك في الثلاثة الأولى من طوافه .

وأما الاضطباع فهو: أن يجعل رداءه تحت إبطه اليمنىٰ ملقياً طرفه على كتفه اليسرى ، يفعل ذلك في الأشواط السبعة .

ويستحب إذا فرغ من صلاة ركعتي الطواف أن يدعوَ بما أحب ومن المنقول:

اللهم هذا بلدك، وبيتك الحرام، والمسجد الحرام، وأنا عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، أتيتك بذنوب كثيرة، وخطايا جمَّة، وأعمال سَيئة، وهذا مقام العائذ بك من النار، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم إنّك دعوْتَ عبادك إلى بيتك، وقد جئتُ طالباً رحمتك، ومُبْتَغِياً رضوانك، وأنتَ مَنَنْتَ عليَّ بذلك؛ فاغفر لي إنك على كل شيء قدير.

الدعاء عند الملتزم:

ثم بعد ذلك يأتي الملتزم(١) وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود ويدعو، فإن الدعاء عنده مستجاب، ومن المأثور:

---

(١) ويجوز أن يأتي الملتزم قبل صلاة ركعتي الطواف إن كان هذا أيسر وأسهل.

اللهم لك الحمد حمداً يوافي نعمك ويكافيء مزيدك ، أحمدك بجميع محامدك ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وعلى كل حال .

اللهمّ صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .

اللهم أعذني من الشيطان الرجيم ، وأعِذْني من كل سوء ، وقنِّعني بما رزقتني ؛ وبارك لي فيه .

اللهم اجعلني من أكرم وَفْدك عليك ، وألْزِمْني سبيل الاستقامة حتى ألقاك يا ربّ العالمين .

الشرب من زمزم والدعاء عنده :

ثم بعد ذلك يستحب أن يأتي زمزم فيشرب وَيَتَضلَّع ، وفي الحديث : «ماء زمزم لما شُرِب له ، إن شَرِبته تستشفي شفاك الله ، وإنْ شَرِبْته لشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله» .

وقد عمل العلماء والصلحاء بهذا الحديث فشربوا منه لمطالب جليلة فنالوها .

قال العلماء : فيستحب لمن شربه للمغفرة ، أو للشفاء أو نحو ذلك أن يقول عند شربه : اللهم بَـلَغني أنّ رسول الله ﷺ قال : «ماء زمزم لما شُرِب له» وإنِّي أشربه لتغفر لي ، أو لتشفيني ، أو لكذا وكذا من مطالبه وحاجاته ، وإنّ خير ما تسأله عند شربك أنْ تطلب المغفرة والرضوان ، والعلم والعمل الصالح .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب من زمزم يقول: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء .

السعي بين الصفا والمروة :

قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم بعد صلاة ركعتي الطواف ، والتزامه الملتزم ، وشربه من زمزم ، يجب أن يسعى بين الصفا والمروة سبعاً .

والسعي هو من واجبات الحج والعمرة فقط .

والسنة أن يصعد الصفا بحيث يَرى الكعبة المكرمة من باب الصفا ، مستقبل البيت ، ويقول قبل صعوده : أبدأ بما بدأ الله تعالى به ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم يقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما أولانا ، لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

لا إلَه إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

لا إلَه إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

اللهمَّ إنك قلتَ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وإنك لا تخلف الميعاد ، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن

لا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم .

ويكرر ذلك ثلاث مرات ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة؛ لنفسه وأهله ، وإخوانه ، وسائر المسلمين .

وإذا وصل إلى المروة صعد عليها وأتى بالأذكار والدعوات التي قالها عند الصفا .

ويقول في ذهابه ورجوعه بين الصفا والمروة :

رب اغفر وارحم وتجاوزْ عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

ويقول : اللهم يا مُقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك .

اللهم إني أسألك مُوجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم إني أسألك الهُدى والتقى والعفاف والغنَى .

اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادك .

وينبغي أن يجمع خال السعي بين الأذكار والدعوات وقراءة ما تيسر من القرآن الكريم.

ويندب أن يختم الشوط السابع من سَعيه بركعتين في المسجد.

التحلل:

ثم بعد ذلك يتحلَّل من العمرة إن كان نوى العمرة فقط لَمَّا أحرم(١).

والتحلل من إحرام العمرة أو من إحرام الحج ـ كما سيأتي ـ يكون ـ أي: التحلل ـ بحلقه ربع رأسه بالموسى، أو بتقصيره شعر ربع رأسه مقدار الأنملة؛ وهذا واجب، ويندب حلق الكل أو تقصير الكل(٢).

---

(١) وهو المتمتع، أما إذا كان نوى العمرة والحج معاً لما أحرم فلا يتحلل إلا بعد الرمي والذبح يوم النحر، وكذلك إن كان مفرداً بالحج.

(٢) ولا يتصور التقصير في الرجل إلا بأن كان طويل الشعر، والحلق أفضل من التقصير، لأن النبي ﷺ دعا بالمغفرة للمحلقين ثلاث مرات، وللمقصرين مرة، ولقوله ﷺ =

أما المرأة فالواجب أن تقصّر شعر ربع رأسها قدر الأنملة ، وتقصيرها من كل شعرها قدر أنملة أفضل .

فإذا حلق أو قصّر حلَّ له ما حَرُمَ عليه بالإحرام ، ويبقى حلالاً إلى أن يُحرم بالحج عندما يَقْرُب الخروج إلى عرفات .

وفي خلال هذه المدة يُكثر الصلاة في المسجد الحرام ، لما جاء في الحديث أنَّ الصلاة فيه بمائة ألف صلاةٍ ، ويكثر من الطواف لما روي عنه ﷺ أنه قال : «من طاف بالبيت أسبوعاً ، وصلى ركعتين ؛ كان كعتق رقبةٍ» .

وعنه ﷺ : «يُنزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين» ـ إلى الكعبة ـ .

= للأنصاري : «وأما حلاقتك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، وتمحى عنك بها خطيئة» .
ولقوله ﷺ : «وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع على الأرض إلا كانت لك نوراً يوم القيامة» .

وعنه ﷺ: «من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[1].

ويستلم الحجر الأسود كلما مرَّ عليه إنْ تمكن، فقد روى الترمذي وغيره، عنه ﷺ أنه قال في شأن الحجر الأسود: «والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يُبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على مَنِ استلمه بحقٍ».

ويستلم الركن اليماني ففي (المسند) عنه ﷺ: «يأتي الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قُبيْس، له لسان وشفتان».

وعنه ﷺ قال: «يبعث الله الحجر الأسود والركن اليماني ولهما عينان ولسانان وشفتان؛ يشهدان لمن استلمهما بالوفاء».

الدعاء في الحِجْر وتحت الميزاب:

ينبغي الإكثار من التردد إلى الحِجْر والدعاء فيه،

---

(١) ولا تنسى أن الطواف في كل مرة سبعة أشواط، وبعد كل سبعة أشواط ركعتان واجبتان.

فإنه محسوب من البيت ، ويسمى ذلك الموضع كله بالحطيم والدعاء فيه مجاب .

ومن المأثور: يا رب أتيتُك مِنْ شُقَّة بعيدة ، مؤمّلاً معروفك ، فأمّلني معروفاً من معروفك ، تُغْنِيني عن معروف مَنْ سِواك ، يا معروفاً بالمعروف .

ويكثر من الدعاء تحت ميزاب الرحمة ، ويستمطر الرضاء والرحمة والمغفرة منه سبحانه .

قال بعض السلف : من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مائة مرة وهو ساجد استجيب له .

دخول الكعبة المعظمة :

يندب الدخول في البيت المعظم إذا لم يشتمل على إيذاء بسبب الزحام ، وينبغي للداخل أن يصلي في مصلاه ﷺ .

فكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا دخله مشى تلقاء وجهه إلى الأمام وجعل الباب قِبَلَ ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار الذي أمامه قريب من ثلاثة

أذرع ، ثم يُصلي اتباعاً له ﷺ ، فإذا صلى إلى الجدار المذكور يضع خده عليه ويستغفر الله تعالى ، ويحمده ، ثم يأتي الأركان فيحمد ويهلل ويسبح ويكبر ، ويسأل الله تعالى ما شاء ، لما ورد أنه ﷺ فعل ذلك كله .

وينبغي للداخل أن يلزم الأدب بظاهره وباطنه ملاحظاً عظمة البيت .

الخروج إلى عرفات :

متى قارب التوجه إلى عرفات يجب عليه أَنْ يُحرم بالحج[1] إن كان متمتعاً[2] ـ أي : إذا كان لما وصل إلى

---

(١) فيندب له أن يقص أظفاره وشاربه ، ويزيل عانته ، ويتوضأ ؛ والغسل أفضل ، ثم يلبس الإزار ، ويُطيب بدنه ، ويصلي ركعتين في غير وقت مكروه كما تقدم ، ثم يقول : اللهم إنّي أريد الحج فيسره لي ، وتقبله مني .
وينوي الحج ويقول : لبيك اللهم لبيك إلخ وحينئذ يصير مُحرماً بالحج .

(٢) أما إذا كان قارناً بأن كان لما وصل الميقات أحرم بالعمرة والحج معاً ، فلا شك أنه لَمْ يزل محرماً فلا يحتاج إلى إحرام=

الميقات: رابغ أو أبيار علي (ذو الحليفة) أحرم بالعمرة فقط[1] ـ ويقول عند التوجه إلى عرفات:

اللهمَّ إياك أرجو، ولك أدْعو، فَبَلِّغْني صالح أملي، واغفر لي ذنوبي، وامنُنْ عليَّ بما مننتَ به على أهل طاعتك إنك على كل شيء قدير.

ويُلبي، ويقرأ القرآن، ويكثر من سائر الأذكار والدعوات، ومن قوله:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

الأذكار والدعوات بعرفات:

قال الإمام النووي رضي الله تعالى عنه: فهذا ـ أي:

= آخر، أو كان مفرداً بالحج كذلك.

(١) ويحسن أن يحرم يوم التروية وهو: اليوم الثامن من ذي الحجة، وسمي بذلك لأنهم كانوا يَروون فيه إبلهم استعداداً للوقوف بعرفات، وسمي اليوم التاسع عرفة، والعاشر النحر، والحادي عشر القَرُّ ـ أي: القرار ـ، والثاني عشر النفر الأول، والثالث عشر النفر الثاني.

يوم عرفة ـ أفضل أيام السنة للدعاء ، وهو معظم الحج ومقصوده ، والمعوّل عليه ، فينبغي أنَ يستفرغ الإنسان وُسْعه في الذكر والدعاء ، وفي قراءة القرآن العظيم ، وأن يدعو بأنواع الأدعية ، ويأتي بأنواع الأذكار ، ويدعو ويذكر في كل مكان ، ويدعو منفرداً ومع جماعة ، ويدعو لنفسه ولوالديه ، وأقاربه ومشايخه ، وأصحابه وأصدقائه وأحبابه ، وسائر من أحسن إليه ، وجميع المسلمين ، وليحذر كل الحذر من التقصير في ذلك كله ، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه بخلاف غيره .

ثم قال : والسنة أن يخفض صوته بالدعاء ـ أي : لا يرفعه عالياً مفرطاً ـ وَيكثر من الاستغفار ، والتلفظ بالتوبة من جميع المخالفات؛ مع الاعتقاد بالقلب ، **ويُلحّ في الدعاء** ، ويكرره ، ولا يستبطىء الإجابة ، **ويفتتح دعاءه ويختمه** بالحمد لله تعالى ، والثناء عليه سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، **ويختمه بذلك** .

وليحرص على أن يكون مستقبل الكعبة وعلى طهارة.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إلٓه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير».

فيستحب الإكثار من هذه الصيغة.

ومن الوارد يوم عرفة:

اللهمّ لك الحمد كالذي نقول، وخيراً مما نقول.

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي، ولكَ ربِّ تُراثي.

اللهم إنّي أَعُوذ بِك مِنْ عذاب القبر، وَوَسْوَسة الصدرِ، وشتات الأمر، ومن شر كل ذي شر.

اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح.

ويقول:

اللهم إني ظَلَمْتُ نفسي ظُلماً كثيراً وإنه لا يغفر الذّنُوْب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنّك أنت الغفور الرحيم.

اللهم اغفر لي مغفرة تُصلح بها شأني في الدارين ، وارحمني رحمةً أسْعد بها في الدارين ، وتُبْ علي توبة نصوحاً لا أنكثُها أبداً ، وألزمني سبيل الاسْتِقَامة لا أَزِيْغُ عنها أبداً.

اللهم أنقُلْني مِنْ ذُل المعصية إلى عِزّ الطاعة ، وأغنني بحلالك عن حَرامِك ، وبطاعتك عَنْ معصيتك ، وبفضلك عَمَّنْ سواك ، ونوّر قلبي وقبري ، وأعذني من الشر كله ، واجْمع لي الخير كله.

ومن المأثور:

اللهم إنَّك تَسمع كلامي ، وترى مَكاني ، وتعلم سِرِّي وعلانيتي ، لا يخفى عليك شَيء من أمري.

أنا البائس الفَقِيْرُ المستغيث ، المستجير ، الوَجِلُ ،

المشفق ، المُقِرُّ المعترف بذنوبه ، أسألك مَسْألة المسكين ، وأبتهل إلَيْك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف المُضطر ، من خَضَعَتْ لك رقبته ، وفَاضَتْ لك عَبْرته ، وذَلَّ جسده ، ورَغِم أنفه لك.

اللهم لا تَجعَلْني بدعائك ربِّ شَقِيًا ، وكن بي رؤوفاً رحيماً ، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين.

ويستحب الإكثار من التلبية فيما بين ذلك ، ومن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وأن يكثر البكاء مع ذكره ودعائه ، فهنالك تُسكب العبرات ، وتُسْتقال العثرات ، وترتجىٰ الطلبات ، وإنه لموقف عظيم ، ومجمع جليل ، تجتمع فيه خيار عباد الله المخلصين ، وهو أعظم مجامع الدنيا.

الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ الآية.

إذا غربتِ الشمس يوم عرفة ، توجَّه الحاج إلى مُزدلفة مُلبِّياً ومكبراً ومهللاً ، وحامداً لله تعالى ، فيكثر من التلبية ومن قوله: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إلّه إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد.

ويقول:

إلَيك اللهم أرْغب ، وإياك أرْجُو ، فَتَقَبَّل نُسُكي ، وَوَفقني ، وارْزُقني فيه من الخير أكْثر مما أطْلب ، ولا تُخَيِّبْنِي إنك أنت الله الجواد الكريم.

ولا يصلي المغرب في عرفة ، بل يجب على الحاج تأخير صلاة المغرب إلى مزدلفة ، فهناك يصليها في وقت العشاء بأذان واحد ، وإقامة واحدة ، وينوي المغرب أداء ، ويؤخر سنة المغرب إلى ما بعد فرض العشاء.

فإذا وصل الحاج إلى مزدلفة يُستحب له الإكثار من الدعاء ، والأذكار ، والتلبية ، وقراءة ما تيسر من القرآن ، فإن تلك الليلة عظيمة مباركة.

ومن الدعاء المأثور فيها:

اللهم إني أسألك فَوَاتح الخير وخَوَاتِمَهُ وجوامعه وأوّله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العُلا في الجنة، وأَن تُصلح لي شأني كله، وأَنْ تصرف عني الشر كله؛ فإنه لا يفعل ذلك غيرك، ولا يجود به إلاّ أنت.

ويكثر من الاستغفار.

فإذا طلع الفجر يُسن أنْ يصلي صلاة الصبح بغلس ـ أي: في أول وقتها ـ ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إلَه إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، ويلبي، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو رافعاً يديه إلى السماء.

ويستحب أن يسير إلى المشعر الحرام، ويصعد جبل قُزَح إن تمكن، وإلا وقف تحته مستقبل الكعبة مكبراً، ومهللاً، ومسبّحاً، وحامداً، وملبّياً، ويقول:

اللهم كما وَقَفْنا فيه، وأريْتَنَنَا إياه فوفقنا لذكرك كما هَدَيتنا، واغْفِر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك وقولُك

الحق : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

الدفع من مزدلفة إلى منى :

فإذا صلى الصبح في مزدلفة ودعا بما تقدَّم ، توجه إلى منى[1] ، ويبذل جهده في الإكثار من التلبية ، ويقول: عند وصوله إلى منىً:

الحمد لله الذي بلَّغَنِيْها سَالماً معافىً.

اللهم هذه منى وقد أتيتها ، وأنا عَبدك وفي قَبْضتك ، أسألك أنْ تمُنَّ عليَّ بما مَننت به على أوليائك.

---

(١) تنبيه: يستحب له قبل أن يتوجه إلى منى أن يرفع من مزدلفة سبع حصيات لأجل رمي جمرة العقبة ، واستحسن بعض الأئمة أن يرفع سبعين حصاة لأجل رمي الجمرات كلها ، لأنه يكره تنزيهاً أخذ الحصاة من موضع الجمرات.

اللهم إني أعوذ بك من الحِرمان والمصيبة في ديني يا أرحم الراحمين.

رمي جمرة العقبة، فالذبح، فالحلق أو التقصير:

متى دفع الحاج من مزدلفة إلى منىً وذلك يوم عيد النحر فيجب عليه عدة أمور:

أولاً: رمي جمرة العقبة سبع رَميات بسبع حصيات، وَيُندب أن تكون الحصاة الواحدة قَدر الفُوْلَةِ أو الأنملة.

ويقول مع رمي كل حصاة: بسم الله، الله أكبر، رغماً للشيطان وحزبه.

ويندب أن يقول:

اللهمَّ اجعل حجي مبروراً، وسعيي مشكوراً، وذنبي مغفوراً.

وروى الطبراني أنّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن رمي الجمار مالنا فيه؟

فقال: «تجد ذلك عند ربك أحوج ما تكون إليه».

وعنه ﷺ أنه قال: «إذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة».

وفي الحديث أنه ﷺ قال: «وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات» رواه البزار.

ووقت هذا الرمي من فجر يوم النحر إلى فجر اليوم الثاني، لكن السنة أن يكون الرمي ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، ويباح تأخيره للغروب، ويجوز الرمي بعد الغروب إلى الفجر لكن مع الكراهة إلا لعذر.

تنبيه: المفرد بالحج والقارن والمتمتع يَقطع التلبية بأول الرمي، وأما المعتمر فيقطع التلبية إذا استلم الحجر الأسود أول طوافه.

ثانياً: ذبح شاة[1] وهي واجبة على المتمتع

---

(١) ويجوز أن يشترك سبعة على بقرة أو جمل.

والقارن[١] شكراً لله تعالى ، حيث وفَّقه أن يأتي بالعمرة والحج في أشهر الحج في سفر واحد[٢] .

وأما المفرد وهو الذي أحرم بالحج فقط ، ولم يأت بالعمرة في أشهر الحج ، فلا تجب عليه ذبيحة ، بل هو مُخيَّر ، والأفضل الذبح ، ولا تجب الأضحية على

---

(١) وهو الذي أحرم بعمرة وأداها ثم تحلل ، ثم أحرم بالحج كما يفعله أكثر الناس ، وأما القارن فهو الذي جمع بين العمرة والحج بإحرام واحد .

(٢) فإن لم يكن في ملكه فَضْل عن كفاف قدر ما يشتري به شاة أو يشارك في سُبُع بقرة أو جملٍ فحينئذ وجب عليه صوم ثلاثة أيام آخرها يوم عرفة ندباً ، وسبعة أيام بعد أيام التشريق أين شاء في مكة أو غيرها .

والحاصل أنه يلزم الحاج أن يبحث في نفقته وماله قبل اليوم السابع من ذي الحجة ، فإن كان عنده فضلة مال للذبيحة فبها ونعمت ، وإلا صام السابع والثامن والتاسع ، وسبعة بعد أيام التشريق .

قال تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ الآية .

الحاج المسافر ، وتجب على المقيم كأهل مكة .

ثالثاً: الحلق أو التقصير لشعر الرأس ، والواجب حلق ربع الرأس ، أو تقصير شعر ربع الرأس قدر الأنملة ، ويندب حلق الكل أو تقصيره ، والحلق أفضل .

وأما المرأة فتقصر لا غير .

فإذا فعل ذلك حلَّ له كل شيء حرم بالإحرام إلا الجماع ودواعيه ، فلا يحل له ذلك حتى يطوف طواف الزيارة .

ويستحسن عند الحلق أو التقصير أن يمسك ناصيته بيده ، ويكبر ثلاثاً ثم يقول :

الحمد لله على ما هَدانا ، الحمد لله على ما أنعم به علينا .

اللهم هذه ناصِيَتي فَتَقَبَّل مني ، واغْفِرْ لي ذنوبي .

اللهم اغفر لي وللمحلقين والمقصرين ، يا واسع المغفرة ، آمين .

وإذا فرغ من الحلق كبَّر وقال: الحمد لله الذي قَضَىٰ عنا نُسكنا.

اللهم زدنا إيماناً ويقيناً، وتوفيقاً وعوناً، واغْفِر لنا ولآبائنا وأمهاتنا، والمسلمين أجمعين.

طواف الزيارة ويسمى طواف الإفاضة:

وهو الثاني من أركان الحج، والركن الأول الأعظم هو الوقوف بعرفة، فيجب على الحاج أن يطوف هذا الطواف الفرض سبعة أشواط في اليوم الأول أو الثاني أو الثالث من أيام النحر، والأفضل أن يطوف في اليوم الأول، ويأتي بالدعوات والأذكار حال طوافه، ويستلم الحجر الأسود والركن اليماني، ويلتزم الملتزم إلى غير ذلك كما تقدم تفصيله في طواف العمرة ص(٢٦)، وتقدمت الأدعية والأذكار مفصلة مرتبة فارجع إليها، وبعد تمام الطواف سبعاً يجب صلاة ركعتين، والسنة كونهما خلف المقام، ثم يأتي زمزم، ثم يسعى بين

الصفا والمروة سبعاً وجوباً[1] وتقدمت الأدعية المطلوبة عند زمزم ص (٣٣) وعند الصفا والمروة وحال السعي فراجعها ص (٣٥ ـ ٣٦).

رمي الجمرات ثاني أيام النحر:

ثم إنه في ثاني أيام النحر بعد الزوال يرمي الجمرات الثلاثة، والسنة أن يبدأ بالجمرة التي تقرب من مسجد الخيف، ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة، يرمي في كل واحدة سبع حصيات، يقول عند كل حصاة: بسم الله، الله أكبر، رغماً للشيطان وحزبه ويدعو لنفسه وغيره، رافعاً يديه إلى السماء.

ووقت أداء هذا الرمي من زوال الشمس إلى طلوع فجر ثالث أيام النحر، لكن السنة هي: أن يرمي بين الزوال والغروب، وأما ما بين غروب الشمس إلى

---

(١) إلا إذا كان المتمتع سعىٰ بَعد طواف تطوع أو كان القارن أو المفرد سعى بعد طواف القدوم؛ فلا يجب عليهم السعي بعد طواف الزيارة.

طلوع الفجر فوقت مكروه إلا لعذر.

ويستحب في أيام التشريق ـ وهي: اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة ـ الإكثار من قراءة القرآن وسائر الأذكار، وأن يقف في أيام الرمي كل يوم عند الجمرة الأولى إذا رماها ويستقبل الكعبة، ويحمد الله تعالى، ويكبر ويهلل ويسبّح، ويدعو؛ مع الحضور والخشوع.

رمي الجمرات في ثالث أيام النحر:

في اليوم الثالث من أيام النحر يجب عليه رمي الجمرات الثلاثة أيضاً كما رمىٰ في اليوم الذي قبله على نفس الترتيب والكيفية والوقت[1].

وأما الرمي الواجب في اليوم الرابع على من تأخر

(١) ونقل في البدائع والفتح وحاشية الشلبي رواية الحسن عن أبي حنيفة أن وقت الرمي في اليوم الثاني والثالث هو من طلوع الفجر اعتباراً باليوم الأول، لكنها خلاف المشهور الذي هو ظاهر الرواية.

فوقت أداء هذا الرمي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، والسنة بعد الزوال[1] .

النفر من منى إلى مكة :

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

يجوز للحاج أن ينفر ـ أي : يرجع ـ مِن منىً إلى مكة في ثالث يوم من أيام النحر ، لكن قبل غروب الشمس ، فإذا تأخر حتى غربت الشمس وهو في منىً يكره له أن ينفر إلى مكة ، بل يَبيت في منى حتى يرمي في اليوم الرابع ، وأما إذا طلع عليه فجر اليوم الرابع

---

(١) لو أخر الرمي في غير اليوم الرابع رمىٰ في الليلة التي تلي ذلك اليوم الذي أخّر رميه ؛ ويكون أداء، لأن الليالي في الحج تابعة للأيام الماضية، لكنه يكره لترك السنة، وإن أخره إلى اليوم الثاني لزمه القضاء والجزاء، ويفوت القضاء بغروب شمس اليوم الرابع، فإذا غربت سقط الرمي ولزمه دم.

وهو في منىً فيجب عليه أن يتأخر حتى يرمي الجمرات في اليوم الرابع.

والأفضل أن ينفر في اليوم الرابع اقتداء بالنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

فروض الحج[1]:

فروض الحج متعددة منها:

١ ـ الإحرام وهو النية والتلبية، أو ما يقوم مقامها من ذكر الله تعالى، أو تَقْليد البدنة مع سَوْقها.

٢ ـ الوقوف بعرفة ولو جزءاً من الزمن في وقته وهو: من زوال يوم عرفة إلى قُبيل طلوع فجر النحر.

٣ ـ معظم طواف الزيارة وهو أربعة أشواط، وبقية الأشواط واجبة.

وإن الوقوف بعرفة ومعظم طواف الزيارة هما ركنان.

---

(١) إنما قدمت ذكر كيفية الحج على فروضه وواجباته تيسيراً للفهم، وتسهيلاً للتطبيق الفعلي.

٤ ـ نية أصل الطواف.

٥ ـ الترتيب بين الفرائض، بأن يأتي بالإحرام، ثم الوقوف بعرفة، ثم طواف الزيارة.

٦ ـ أداء كل فرض في وقته، فالوقوف من زوال عرفة إلى فجر النحر، وطواف الزيارة بعده إلى آخر العمر.

٧ ـ أداء كل فرض في مكانه، أرض عرفات للوقوف، ونفس المسجد للطواف.

ويُلحق بالفرائض أيضاً ترك الجماع قَبل الوقوف بعرفة.

حكم هذه الفرائض:

إنه لا يصح الحج إلا بوجود جميعها، ولو ترك واحداً منها لا يصح أداء حجه[1].

---

(١) انظر شرح ملا علي القاري.

واجبات الحج :

للحج واجبات كثيرة ، نذكر جملة منها :

١ ـ السعي بين الصفا والمروة[١] ، ٢ ـ وبدء السعي من الصفا ، ٣ ـ والمشي فيه لغير المعذور ، ٤ ـ وتأخير صلاة العشاءين إلى المزدلفة ، ويسمى هذا جمع تأخير وهو واجب ، ٥ ـ والوقوف بمزدلفة مدة من الزمن ، ووقت هذا الوقوف ما بين طلوع فجر النحر إلى طلوع شمسه ، وقدر الواجب الوقوف جزءاً من الزمن[٢] ، ٦ ـ ورمي الجمار ، ٧ ـ وطواف الصَّدر ـ أي : طواف الوداع للآفاقي[٣] ، ٨ ـ وحلق شعر ربع الرأس أو تقصيره ؛ والحلق أفضل للرجل ، ٩ ـ وتقصير شعر ربع

---

(١) سمي الصفا لأنه جلس عليه آدم صفوة الله تعالى ، وسميت المروة لأنها جلست عليها امرأة آدم حواء.

(٢) والسنة مد الوقوف إلى الإسفار ، وأما البيتوتة في المزدلفة فهي سنة مؤكدة عند الحنفية ، واجبة عند الشافعية.

(٣) غير أن الحائض يسقط عنها.

الرأس للمرأة وذلك كله عند التحلل ، ١٠ ـ والإحرام من الميقات أو قبله ، ١١ ـ وكون الوقوف بعرفة نهاراً ـ أي: من بعد الزوال [١]، ١٢ ـ والبدء بالطواف من الحجر الأسود ، ١٣ ـ والتيامن في الطواف ، وهو: أخذ الطائف عن يمين نفسه وجعله البيت عن يساره.

١٤ ـ والمشي في الطواف غير النفل لمن ليس له عذر يمنعه ، فلو ترك المشي بلا عذر أعاده ، وإن لم يُعِدْه وجب عليه دم [٢].

١٥ ـ والطهارة في الطواف من الحدث الأكبر والأصغر [٣] ، ١٦ ـ وستر العورة في الطواف ، فلو انكشف ربع عضو من أعضاء العورة وجب إعادته ، وإن

---

(١) فالواجب أن يشتمل الوقوف على جزأين من النهار والليل.

(٢) أما في طواف النفل فإن شرع به ماشياً يجب عليه إكماله ماشياً، فإن لم يكمله كذلك فعليه صدقة.

(٣) وأما الطهارة من النجاسة الحقيقية لثوب وبدن ومكان فالأكثر على أنَّ ذلك سنة مؤكدة.

لم يُعده فعليه دم في الطواف الواجب ، وأما في النفل فصدقة .

١٧ ـ وصلاة ركعتين لكل أسبوع من أيٍّ طواف كان ، ١٨ ـ وذبح شاة للقارن والمتمتع ، ١٩ ـ والترتيب بين الرمي والذبح ـ أي : لغير المفرد ـ والحلق ، فيأتي بها على ترتيب حروف رذح ، ٢٠ ـ وفعل طواف الإفاضة في يوم من أيام النحر ، ٢١ ـ وتوقيت الحلق بمكان الحرم ولو غير منى ، وفي زمن أيام النحر ، وهذا بالنسبة للحاج ، وأما المعتمر فلا يتوقت حَلْقُهُ بزمان .

حكم الواجب من حيث الإجمال :[1]

إنه يجب بتركه الجزاء وهو الدم ، سواء كان تركه عمداً أو سهواً ، أو خطأ أو نسياناً ، لكن العامد آثم بتركه فيجب عليه التوبة والدم .

---

(١) وأما حكم ترك الواجب تفصيلاً فَيُرْجع فيه إلى مطولات الفقه من بحث الجنايات .

ويستثنى من ذلك بعض أمور مفصلة في كتب الفقه.

مواضع الإجابة:

ينبغي أن يتحرىٰ مواضع القبول والإجابة وأَنْ يُلِحّ فيها بالدعاء والمسألة.

وهي:

المطاف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي داخل البيت المعظم، وعند الركن اليماني، وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي المسعى، وخلف المقام، وفي عرفات.

روى الحاكم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاؤوني شُعثاً غُبْراً».

وروى البيهقي، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يقف عشية عرفة

بالموقف ، فيستقبل القبلة بوجهه ، ثم يقول: لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يُحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ـ مائة مرة ، ثم يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة ، إلا قال الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبدي هذا ، سبَّحني وهللني ، وكبرني وعظَّمني ، وعَرَفني وأثنى عليَّ ، وصلى على نَبِيِّي ، اِشْهدوا يا ملائكتي أنّي قد غفرت له ، وشفعته في نفسه ، ولو سألني عبدي هذا لشفعته في أهل الموقف» أي: موقف عرفة.

ومن مواضع إجابة الدعاء: في المزدلفة ، وفي منىً ، وعند الجمرات.

قال الإمام النووي رضي الله تعالى عنه: فمحروم من لا يجتهد في الدعاء في هذه المواضع.

طـواف الـوداع وأذكـاره:

فإذا أراد الحاج السفر من مكة المكرمة يَجب عليه طواف الوداع سبعة أشواط ، ثم صلاة ركعتين خلف

المقام ، ثم يشرب من زمزم قائماً كما تقدم[1] ص (٢٦ ـ ٣٣) .

ثم يأتي الملتزم ويضع صدره ووجهه على الملتزم إن تمكن ، ويقول :

اللهم البيتُ بيتُك ، والعَبْدُ عَبْدُك ، وابنُ عبدك ، وابنُ أمتك ، حملتَنِي على ما سخَّرت لي من خلقك ، حتى سيّرتني في بلادك ، وبلَّغْتَنِي بنعمتك ، حتى أعَنْتَنِي على قضاء مناسكك ، فإن كنتَ رضيْتَ عني فازْدَد عني رضاً ، وإلا فَمُنَّ الآن قبل أَنْ تنأىٰ عن بيتك داري ، هذا أوان انصرافي إن أذنتَ لي ، غير مُسْتَبْدَل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك .

اللهمَّ فاصحبني العافية في بدني ، والعصمة في ديني ، وأحسِنْ مُنقلبي ، وارزقني طاعتك ما أبقيتَني ،

---

(١) ويستحب أن يمسح وجهه وجسده صاباً عليه من ماء زمزم كلما أتى زمزم وشرب منه .

واجمع لي خَيْـرَي الآخرة والدنيا ، إنك على كل شيء قدير.

ويفتتح هذا الدعاء ويختمه بالثناء على الله تعالى والصلاة على رسولـه ﷺ ، ويتعلـق بـأستـار الكعبـة مستشفعاً ، ويجتهد في الدعاء باكياً خاشعاً ، ثم يرجع إلى خلف ، ناظراً إلى البيت العظيم؛ حتى يخرج من المسجد.



بسم الله الرحمن الرحيم

زيارة
المصطفى عليه الصلاة والسلام

السلام عليكم يا إخواني الزائرين ، الوافدين على سيد الأولين والآخرين ، أُحَيِّيكم بأطيب أنواع التحية ، وأهنئكم بما ظفرتم به من السعادة الأبدية ، لقد شاهدتم آيات الجمال والكمال ، وَوَقفتم مواقف الهيبة والجلال ، وشممتم رائحة الطيب العبهرية ، ووجدتم رِيح هاتيك النفس المحمدية ، حيث هبَّت عليكم

رياحها المسكية الشذية ، المرسلة إليكم من جانب الحضرة الأحمدية .

نَسيم قبر النبي المصطفى لهمُ
رَوح إذا شربوا مِنْ ذكره الراحا

يا راحلين إلى المختار من مضر
سِرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا

لقد أقمنا على عذرٍ ألمَّ بنا
ومن أقام على عذرٍ كَمَنْ راحا

فطوبى لكم إذ عمَّكم ﷺ بنوره الساطع الباهر ، لما شهدتم مطلع كوكبه المتلألىء الزاهر ، فقرُّوا عيوناً بما نلتم من غاية الأمنية ، وطيبوا نفوساً بما أُتحفتم به من التحفة المرضية ، واحمدوا الله تعالى على ما أولاكم به من نِعمه ، وأفاض عليكم من جوده وكرمه ، حيث وفَّقكم لزيارة حبيبه الأعظم ﷺ وكرَّم ، وسلّموا على أعلى الأنبياء رُتبة ومقاماً ، وقِفوا معظمين له إجلالاً

واحتراماً ، واستشفعوا به ، واستغيثوا وتوسلوا ، ومِنْ فَيْض فضله وجوده فاسألوا؛ فإنه شفيع الشفعاء ، وقطب الأنبياء والأولياء ، صلى الله تعالى عليه صلاةً لا يُحيط بها حدّ ولا إحصاء ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

حكم الزيارة وفضلها :

اتفق العلماء على أن زيارته الشريفة ﷺ من أعظم القربات ، وأجلّ الطاعات ، فمذهب الجمهور أنها سنة ، وقالت طائفة عظيمة من أولي العلم[١] : إنها واجبة .

ولا شك أَنَّ من اطّلع على ما ورد في فضلها ، وما جاء في منافعها وخصائصها؛ فإنه حينئذ لا يسعه أن يتركها بل يبادر كل المبادرة إليها .

---

(١) ومنهم موسى بن عيسى الفقيه من بلدة فاس ، وهذا مذهب الظاهرية أيضاً .

ترغيبه صلى الله عليه وآله وسلم في زيارته بعد وفاته وبيانه فضائل ذلك:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي»(٢).

وروى الطيالسي، والبيهقي في (الشعب)، عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَن زارِ قبري كنت له شفيعاً ـ وفي

(١) قال في (الدر المنثور): أخرجه الحكيم الترمذي، والبزار، وابن خزيمة، وابن عدي، والدارقطني والبيهقي.

(٢) رواه سعيد بن منصور، وأبو يعلى، والطبراني، وابن عدي، والدارقطني، والبيهقي في (الشعب)، وابن عساكر كما في (الدر المنثور) وغيره.

رواية «شهيداً» ـ ومَنْ مات في أحد الحرمين: بعثه الله تعالى في الآمنين يوم القيامة».

وروى الطبراني، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جاءني زائراً لم تُنزعه[1] ـ أي: تحركه ـ حاجة إلاّ زيارتي: كان حقاً عليَّ أَنْ أكون له شفيعاً يوم القيامة».

وروى ابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زارني بالمدينة محتسباً: كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

وروى البيهقي، عن حاطب بن أبي بلتعة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومَنْ مات بأحد الحرمين: بُعث مِنَ الآمنين يوم القيامة».

---

(١) كذا في (الدر المنثور)، وفي (مجمع الزوائد) «لم يَعْلم له حاجة إلا زيارتي» الحديث.

وروى البيهقي ، عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابراً رضي الله عنه ، وهو يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ها هنا تُسكب العبرات ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما بين قَبري ومنبري روضة من رياض الجنة» .

وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن حبيب بن عبد الله بن أبي أُمامة ، قال: رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه ، أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أَنَّه افتتح الصلاة فسلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف كذا في (الدر المنثور) وغيره.

وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن سُليمان بن سحيم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله: هؤلاء الذين يأتونك فَيُسلِّمون عليك أَتَفْقَهُ سلامهم؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم وأردُّ عليهم» .

وروى البيهقي ، عن حاتم بن مروان قال: (كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُوَجِّه بالبريد[1] قاصداً إلى المدينة ليُقرىء عنه النبي صلى الله عليه وسلم السلامَ). ا هـ..

وما ذاك إلاَّ لينال فضل السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفضل ردِّه السلام صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنَّ في ردِّه صلى الله عليه وآله وسلم على المُسَلِّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك أمان وسلام في الدنيا؛ ويوم القيامة والزحام.

زيـارة رسول الله عيسى ابن مريم عليه السـلام لسيدنـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيـن ينزل في آخر الزمـان :

جاء في الحديث الذي رواه الحاكم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أراد بالبريد هنا الرجل يُرسله إلى المدينة المنوَّرة ليُبَلِّغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلامَ.

قال: «لَيَهْبِطنَّ عيسى ابن مريم حَكَماً ، وإماماً مقسطاً ، ولَيَسلكنَّ فجّاً فجّاً حاجاً أو معتمراً ، وليأتينَّ قبري حتى يُسَلِّم عليَّ ؛ ولأردّنَّ عليه» ـ أي: السلام.

رمز في (الجامع الصغير) لصحته، وروى أبو يعلى نحوه.

تبصرة وذكرى ببعض فضائله ﷺ الكبرى:

اعلم أيها الأخ المؤمن أنه ﷺ هو الواسطة الكبرى ، والوسيلة العظمى إلى الله تعالى في جميع العوالم ، فحقيق بك أن تتوسَّل إلى الله تعالى بذاته الشريفة ﷺ، وأن تتبرك بأجزائه وآثاره ﷺ، كشعره وأظفاره، وَوَضوئه، وكثوبه ونعله وعصاه ، وأن تتوسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ ، وبحقه وبجاهه ، وإليك الأدلة على ذلك:

التوسل بذاته ﷺ وأجزائه وآثاره الشريفة :

روى النسائي[1] عن عثمان بن حنيف أن رجلاً

---

(١) والترمذي ، والحاكم ، والبيهقي ، والبخاري في (تاريخه) والطبراني.

ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله تعالى أَن يعافيني من العمى.

فقال ﷺ: «إن شئت صَبَرتَ فهو خير لك، وإن شئتَ دعوتُ».

قال: فادعه.

فأمره أن يتوضأ ويُحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: **«اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجَّه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضىٰ، اللهم شفّعه فيَّ»**.

فقام وأبصر.

وفي رواية: كأن لم يكن به ضر.

وفي البخاري، عن أنس رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: اللهم إنا كنا نتوسَّل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ـ فيسقون.

فكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتوسلون به صلى الله عليه وسلم في نيل حاجاتهم ، وما أهمَّهم كالاستسقاء ونحوه.

وأما توسل عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فهو في الحقيقة توسلٌ به صلى الله عليه وسلم ، لأنه إنما توسل به لقرابته منه صلى الله عليه وسلم ، وانتسابه إليه ، وهو أنه عمه ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه: وإنا نتوسَّل إليك بعم نبيك ، فأضافه إليه صلى الله عليه وسلم لشرف النسبة والقرابة ـ ولولا هذا المقصد لقال: وإنا نتوسل إليك بالعباس ـ ولأجل الدعاء ، ولذلك قال: ارفع يديك يا عباس.

وروى البخاري ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ربما ذَكَرتُ قول الشاعر وأنا أنظر إلى

وجه النبي صلى الله عليه وسلم يَستسقي فيما ينزل حتى يجيش[1] كل ميزاب.

وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل[2]

وأما التوسل بأجزائه وآثاره الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد كان أصحابه رضي الله تعالى عنهم يستشفون ويتبركون بشعره وأظفاره، وَوَضُوْئه، ونخامته، وثيابه، ونعله، وسائر آثاره صلى الله عليه وسلم، وهذا مما ثبت عنهم واستفاض، ولا شك أَنَّ معنى الاستشفاء والتبرك بأجزائه وآثاره صلى الله عليه وسلم هو طلب الشفاء والبركة من الله تعالى بفضل تلك الأجزاء والآثار عند الله تعالى، وهذا هو معنى التوسل وحقيقته.

---

(١) أي: يسيل.
(٢) هذا البيت لأبي طالب في قصيدة له يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

روى الشيخان ، عن أبي جُحيْفة قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة[1] فَـأُتِـيَ بوَضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فَضل وَضوئه فيتمسحون به ، فصلى النبي ﷺ الظهر ركعتين[2] والعصر ركعتين ، وبين يديه عَنَزَةٌ) .

وقال أبو موسى: دعا النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجَّ فيه ، ثم قال لهما: «اشربا منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما» كما في الصحيحين.

وقال البخاري: وقال عروة عن المِسْوَرِ وغيره يُصدِّق كل منهما صاحبه: وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على وَضوئه.

وروى مسلم ، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه ، وأطاف به

(١) وقت الظهيرة.
(٢) قصر الرباعية للسفر.

أصحابه، فما يريدون أَن تقع شعرة إِلا في يد رجل تبركاً واستشفاء).

وفي البخاري، عن ابن سيرين قال: قلت لِعبيْدَةَ عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قِبَل أَنس رضي الله عنه أَوْ مِنْ قِبَل أهل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحبّ إِليَّ من الدنيا وما فيها.

وقد أوصى أَنس رضي الله تعالى عنه أن يُجعل في حنوطه من شعر النبي ﷺ وعرقه الشريف، الذي احتفظت به أم سليم عندما كان رسول الله ﷺ ينام القيلولة عندها.

وقد وضع معاوية رضي الله تعالى عنه تحت لسانه شعرة من شعره ﷺ عند الوفاة مسترحماً ومتبركاً بها.

ولما بَعَث المشركون عروة بن مسعود لصلح الحديبية، جعل عُروة ينظر بقوة إلى أصحاب النبي ﷺ قال: فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدَلك بها وجهه وجلده، وإِذا أمرهم

بأمر ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده .

فلما رجع عروة إلى أصحابه المشركين فقال : يا قوم لقد وفدت على الملوك والله ما رأيت مَلكاً قط يُعظمه أصحابه ما يُعظّم أصحاب مُحَمَّدٍ محمداً ، والله ما تنخَّم نخامة إلا وقعت في كف رجل ، فدَلك بها وجهه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه إلخ .

وفي مسلم ، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فلا يأتونه بإناء إلا غمس فيه يده ، وربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيه .

فكانوا يتبركون ويستشفون بالماء الذي يغمس فيه يده الشريفة ﷺ ، وكذلك ببصاقه ومسُحاته ﷺ .

وفي الصحيحين : أنه ﷺ قال ـ يوم خيبر ـ : «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» .

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها.

فقال ﷺ: «أين علي بن أبي طالب».

فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه.

قال: «فأرسلوا إليه».

فأُتِيَ به فبصق ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع.

وفي رواية البيهقي: فما وجعهما حتى مات.

فبصاقه ﷺ شفاء وبركة.

وفي (المسند) أن محمد بن حاطب مَشَى إلى قِدْرٍ تغلي وكان طفلاً، فانكفأت القدر على يديه، فاحترقت، فذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ فتفل في فم الطفل، ومسح على رأسه ودعا له، وجعل يتفل على يديه ويدعو له، فما قامت به أمه حتى برأت يده.

بل كان التابعون يتبركون بآثار المواضع التي مستها

يد رسول الله ﷺ ، أو مسحتها.

ففي (المسند) من حديث حنظلة بن حِذْيم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مسح رأسه وقال: «بارك الله فيك».

قال ذيال ـ حفيد حنظلة ـ: فلقد رأيت حنظلة ـ أي: الذي مسحه رسول الله ﷺ ـ يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع ، فيتفل حنظلة على يديه ويقول: بسم الله ، ويضع يده على رأسه ويقول ـ أي: يحرك يده على موضع كف النبي ﷺ ـ فيمسح الوارمَ المريض فيذهب المرض.

وفي (الحلية) لأبي نعيم ، أَنَّ ثابتاً البناني كان إذا لقي أنساً لا يرضى ثابت حتى يقبل يد أنس رضي الله عنه ويقول لأنس رضي الله عنه : قد مست يدك يد رسول الله ﷺ.

وتفل صلى الله عليه وسلم على رِجْلِ عَمْرو بن معاذ حين قُطعت رجله فبرأ.

وهكـذا مسحـات النبـي صلى الله عليه وسلم للصحابـة وتبريكـه عـليهـم.

ومن ذلك:

ماورد في (الصحيحين) أن عبد الله بن عتيك لما قَتل أبا رافع اليهودي، وعاد وقد انكسرت ساقه، قال: فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي: «ابسط رجلك» فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط.

وفي (الإصابة) أَنَّ بشر بن معاوية بن ثور، قدم مع أبيه على رسول الله ﷺ فقال معاوية: يا رسول الله امسح وجه ابني هذا، فمسح ﷺ رأس بشر، ودعا له، فكانت في وجهه مسحة النبي ﷺ كالغرَّة، وكان لا يمس شيئاً إلا برأ.

وفي ذلك يقول محمد بن بشر:

وأبـي الـذي مَسـح النبـي بـرأسـه
ودعـا لـه بـالخيـر والبـركـات

وفي البخاري، أَنَّ امرأة أهـدت بُردة للنبي ﷺ

فلبسها ، ثم إنَّ رجلاً من القوم سألها من رسول الله ﷺ. فأرسل بها إليه.

فقال القوم للرجل: ما أحسنتَ ، سألته إياها وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً.

فقال الرجل: والله ما سألتُها إلا لتكون كفني يوم أموت ـ فكانت كفنه ـ مسترحماً ومتبركاً بفضلها عند الله تعالى.

فثبت بجميع ما تقدم أَنَّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بالنبي ﷺ ، وبأجزائه وآثاره ، فإنهم كانوا يتبركون بها ويستشفون ويسترحمون كما تقدم.

ومعنى التبرك والاستشفاء والاسترحام بها هو: طلب البركة والشفاء والرحمة من الله تعالى بفضل تلك الأجزاء والآثار الشريفة عند الله تعالى ، وهذا هو حقيقة التوسل.

وأما التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم فإنه جائز

حقاً ، فإن الله تعالى أخبرنا عن وجاهة سيدنا موسى وسيدنا عيسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى في موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ وقال تعالى في عيسى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ولاشك أنّ جاه سيدنا محمد ﷺ أعظم من جاه موسى وعيسى صلوات الله تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين.

وأما التوسل بدعائه ﷺ واستغفاره فإنه حق ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

فَعَلَّق التوبة والرحمة على ثلاثة أمور: المجيء إلى رسول الله ﷺ ، واستغفارهم ، واستغفاره صلى الله عليه وسلم لهم ، فإذا حصلت الأمور الثلاثة وجدوا الله تواباً رحيماً.

قال العارف بالله ابن عطاء رضي الله تعالى عنه في

معنى هذه الآية الكريمة: لو جعلوكَ الوسيلة لديَّ لوصلوا إليَّ.

وفي (الصحيحين) عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله قَحط المطر، فادعُ الله أَنْ يسقينا.

فدعا صلى الله عليه وسلم فمطرنا، فما كدنا أَنْ نصل إلى منازلنا ـ أي: من شدة المطر.

فما زلنا نُمطَر إلى الجمعة المقبلة، فقام ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يصرفه عنا.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا».

قال أنس رضي الله عنه: فلقد رأيت السحاب يتقطع يميناً وشمالاً، يُمطرون ولا يمطر أهل المدينة، إجابة لدعائه ﷺ.

وكثيراً ما سألوه الدعاء لهم أفراداً وجماعات فدعا وحصل المراد .

وأما الاستغاثة به ﷺ فهي جائزة حقاً ، لأنه السبب الأعظم والواسطة الكبرى في إغاثة الله تعالى ورحمته ومنته وعنايته ، ويكفينا دليلاً على ذلك أَنَّ أهل الموقف يوم القيامة كلهم أَجمعوا على أنه ﷺ يُستغاث به ، وأَنَّ من استغاث به أُغيث .

روى البخاري في (صحيحه) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم» وقال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ» .

فقد جاء نص الاستغاثة به ﷺ والحمد لله .

وفي (الصحيحين) عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم

إلى خيبر فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامرٍ: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ـ وكان عامر رجلاً شاعراً ـ فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهــم لــولا أنــت مــا اهتــدينــا
ولا تصـــدَّقنـــا ولا صلينـــا
فــاغفــر فــداء لــك مــا أبقينــا
وألقيـــنْ سكينـــة علينـــا
وثبّـــت الأقـــدام إِن لاقينـــا
إنـــا إذا صِيْـــح بنـــا أبينـــا
وبالصياح عوّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق»؟

قالوا: عامر بن الأكوع.

فقال: «يرحمه الله»[1].

---

(١) وهذه الكلمة متى قالها ﷺ لرجل دلت على أنه يُقتل شهيداً لا محالة.

فقال رجل ـ وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ـ: (وجبتْ يا نبي الله لولا أمتعتنا به) الحديث.

فاستغاث عمر رضي الله تعالى عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (لولا أمتعتنا به) أي: لولا أطلت يا رسول الله عُمُرَ عامر وأبقيته بيننا حياً نتمتع به، وكل مؤمن له أسوة حسنة بعمر رضي الله تعالى عنه وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن يستغيث بهﷺ، لأنه السبب الأعظم في غوث الله تعالى ورحمته.

وكما جاز التوسل والاستغاثة به ﷺ لمّا كان في عالم الدنيا كذلك يجوز التوسل والاستغاثة به ﷺ بعد وفاته؛ وانتقاله إلى عالم البرزخ، لأنه ﷺ بعد وفاته حيٌّ بالحياة البرزخية الكاملة، التي هي أقوىٰ من الحياة الدنيوية.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ

بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ فنهى سبحانه أن يقال عن الشهداء أموات ، بل نهى عن حسبان ذلك ـ أي : بل يجب الاعتقاد بأنهم أحياء عند ربهم ، ولكن لا يَشعر بهم مَنْ خلفهم ، لأنهم في عالم غيبي آخر ، فإذا كان هذا مقام الشهداء فكيف بمقام الأنبياء ، ومابالك بمقام النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فلا شك أنَّه حي بالحياة الكاملة العالية في الرفيق والملأ الأعلى .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ فالمراد به الموت الذي هو مفارقة الروح للبدن ، لا الموت الذي لا حياة معه .

وروى أبو يعلى والبيهقي ، عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» .

وفي (صحيح) مسلم ، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر» .

وروى ابن النجار أن الأذان تُرِكَ في أيام الحرة[1] ثلاثة أيام، وخرج الناس ـ أي: لم يؤذن في المدينة ولا في المسجد النبوي ثلاثة أيام ـ وسعيد بن المسيب بقي في المسجد.

قال سعيد بن المسيب: فاستوحشت، فدنوت من القبر الشريف ـ أي: فجلست بقربه ـ فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر الشريف، فصليت ركعتين نفلاً، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر، واستمر ذلك الأذان والإقامة في القبر المقدس لكل صلاة؛ حتى مضت تلك الليالي[2].

وفي (سنن) أبي داود والنسائي، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ منْ أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه،

(١) أي: أيام الوقعة المشهورة بين عسكر يزيد وأهل المدينة.
(٢) وروى هذه القصة الإمام الدارمي أيضاً.

فإنَّ صلاتكم معروضة عليّ».

قالوا: وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمْتَ ـ أي: بليت ـ.

فقال: «إنَّ الله تعالى حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

فصلاتنا ودعواتنا معروضة عليه، معلومة عنده صلى الله عليه وسلم.

وروى ابن ماجه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإنَّ أحداً لن يصلي عليّ إلا عُرِضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها».

قال: قلت: وبعد الموت.

---

(١) ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان والحاكم في صحاحهم، والبيهقي، وغيرهم.

قال ﷺ: «وبعد الموت ، إنَّ الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

قال الحافظ المنذري: إسناده جيد.

فنبيّ الله حَيٌّ يُـرزق.

ومعنى أنه صلى الله عليه وسلم حيٌّ يرزق أي: أنّه حي عند ربه بحياة هي أقوى وأكمل من هـذه الحياة الدنيا، يرزقه الله تعالى وَيُفضل عليه بأنواع الخيرات والسعادات، ونظيره قوله تعالى في الشهداء: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ وأين مقام الشهادة من مقام صاحب الوسيلة عليه الصلاة والسلام، فإن حياته أقوى وأكمل وأعلى من حياة الشهداء.

وعنه ﷺ: «من صلى عليّ عند قبري سمعتُه، ومن صلى عليّ من بعيدٍ أُعلمتهُ»(١).

---

(١) رواه أبو الشيخ، ونقل الحافظ السخاوي عن شيخه ابن حجر أنه قال: سنده جيد.

وروىٰ الحافظ البزار في (مسنده) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال: «حياتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم ، ووفاتي خير لكم تُعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيتُ من خير حمدت الله ، وما رأيتُ من شرٍ استغفرت لكم»[1].

ومعنى: «تحدثون» إما من التحديث أي: تُحدِّثونني بما أشكل عليكم وأحدثكم بما يزيل إشكالكم ، وإما من الإحداث أي: تحدثون أموراً وأعمالاً مما تعملونه في حياتكم ، ويَحدث لكم في مقابلتها أحكام شرعية من تحليل لذلك العمل أو تحريم ، أو ندب ، أو كراهة.

---

(١) قال الحافظ زين الدين العراقي في (طرح التثريب) ص ٢٩٧ من كتاب الجنائز: إسناده جيد.
وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في (مجمع الزوائد): رجال إسناده رجال الصحيح.
وقال الحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى): إسناده صحيح ونص عليه ملا علي القاري والشهاب الخفاجي وغيرهم.

ومعنى قوله ﷺ: «ووفاتي خير لكم» أي: فيها خير لكم أيضاً لما في (صحيح) مسلم، عن أبي موسى رضي الله عنه، عنه ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجل إذا أراد رحمة أمةٍ من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً[1] وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلكة أمةٍ عذَّبها ونبيها حيٌّ، فأهكلها وهو - أي: نبيها - ينظر، فأقرَّ عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

فحياته ﷺ خير، ووفاته خير أيضاً.

وذلك لأن أعمال أمته تعرض عليه، فما كان خيراً فرح وحمد الله تعالى عليه، وما كان غير ذلك استغفر ودعا رحمة منه ورأفة.

وأما أعمال الكفار والمرتدين فإنها لا تعرض عليه هذا العرض، لأنه لا خير فيها، وما فيها من الشرور

---

(١) الفَرَط: الذي يتقدم أمام القوم أو الجيش ليصلح المكان ويهيئه لنزولهم.

والذنوب فإنه لا يجوز الاستغفار لهم ، لأن الله لا يغفر أن يشرك به .

ويؤيد هذا الحديث ، ما رواه أبو داود الطيالسي ، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم في قبورهم ، فإنْ كان خيراً استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك» .

ولذلك كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أُخْزى به عند عبد الله بن رواحة ـ أي: خاله ـ رضي الله عنه .

فلا ريب أنه ﷺ تُعرض عليه أعمال أمته عرضاً خاصاً واضحاً جلياً ، فليحذر المؤمن من كل عملٍ يكرهه ﷺ .

وروى الإمام الدارمي ، عن أبي الجوزاء قال: قُحِطَ أهل المدينة قحطاً شديداً ، فشكو إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه

كوى[1] إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء السقف ، ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل ، حتى تفتقت من الشحم ، فسمي: عام الفتق.

وروى ابن النجار ، أن امرأة سألت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ ، فكشفته فبكت حتى ماتت شوقاً إليه.

والتوسل والاستغاثة به ﷺ قبل وفاته وبعد انتقاله للبرزخ مما عُلِم بالضرورة ، وعُرِفَ لدى أهل الفِطَر السليمة ، والنفوس الطيبة المستقيمة ، فكثيراً ما استغاث وتوسل به الخاصة من المؤمنين والعامة فأجيبوا إلى ما سألوا.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل)

---

(١) منافذ ، فأمرتهم أن يجعلوا من مقابلة القبر الشريف في سقف الحجرة منافذ متعددة.

الحكاية المشهورة[1] عن العُتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ منْ دُفنت في الترب أعظمه
فطاب من طيبهن القاعُ والأكم
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي.

قال العتبي: فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ فقال: يا عتبي إلحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له.

وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم رضي

---

(١) وذكرها ابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي.

الله تعالى عنهما على قبره ﷺ فقال: يا ربّ إنا زُرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين.

فنودي: يا هذا ما أذِنّا لك في زيارة حبيبنا إلا وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم.

ووقف أعرابي على قبره الشريف ﷺ وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد ، وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك .

فهتف به هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك ، هلاَّ سألتَ العتق لجميع الخلق ، اذهب فقد أعتقناك من النار.

وعن الأصمعي: وقف أعرابي مقابل القبر الشريف فقال: اللهم إن هذا حبيبك ، وأنا عبدك ، والشيطان عدوك :

فإن غفرتَ لي: سُرَّ حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك.

وإن لم تغفر لي: غضب حبيبك ، ورضي عدوك ، وهلك عبدك.

اللهم إن العرب الكرام إذا مات منهم سيد أعتقوا على قبره ، وإنَّ هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره.

قال الأصمعي: فقلت يا أخا العرب إن الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال.

وبهذا يُعلم أَنَّ التوسل والاستغاثة به ﷺ أمر فطري يعتقد به كل من لم تتبدل فطرته بشبهةٍ أو ضلالةٍ كما تقدم عن الأعراب المؤمنين وغيرهم.

قال العلامة القسطلاني: ولقد حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء ، وأقمت به سنين ، فاستغثت به ﷺ بمكة زادها الله شرفاً ، فبينا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه : هذا دواء داء أحمد ابن القسطلاني من الحضرة الشريفة ، بعد الإذن الشريف ، ثم استيقظت فلم أجد بي والله شيئاً مما كنت أجده ، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ.

وقد روى البيهقي عن ابن فُديك[1] قال: سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول: من وَقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ وقال: صلى الله عليك يا محمد؛ حتى يقولها سبعين مرةً، ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة.

أي: لا تردّ ولا تخيب، والأحسن أن يقول: صلى الله عليك يا رسول الله[2].

وقد سأل الخليفة المنصور مالكاً رضي الله تعالى عنه فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ.

فقال مالك: ولِمَ تَصْرِفْ وجهك عنه ﷺ وهو

---

(١) توفي سنة مائتين.
(٢) أي: بدلاً من قوله يا محمد أدباً وتعظيماً كما نبه عليه بعضهم.

وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به ، فيشفّعه الله ، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١) .

فهو صلى الله عليه وسلم واسطة الخيرات والسعادات التي تتنزل من عند الله تعالى في جميع العوالم الدنيوية والأخروية ، حتى في عالم الجنة ، حيث ينال منزلةً في الجنة لا تنبغي أن تكون إلا لعبدٍ واحدٍ ، وتلك المنزلة هي: مقام الوسيلة الذي ينزل عليه الخير الإلَهي ، ثم منه يتنزل على أهل الجنة ، على حسب استعداداتهم ومقاماتهم .

---

(١) قال العلامة الزرقاني في هذه الحكاية : رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه (فضائل مالك) ومن طريقه الحافظ أبو الفضل عياض في (الشفاء) بإسناد لا بأس به بل قيل إنه صحيح ، فمن أين أنها كذب ، وليس في رواتها كذاب ولا وضاع ، وشنَّع على من أنكرها .

فجميع الخيرات والمبرات ، وأنواع النعيم والسعادات التي يَسعد بها أهل الجنة وينعمون بها إنما ينالونها عن واسطته ﷺ ، حيث يُقيمه الله تعالى في مقام الوسيلة.

روى مسلم ، عنه ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ، فإنَّه مَنْ صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، وأرجوا أَن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة».



خطب النبي ﷺ في حجة الوداع

«يا أيها الناس أنصتوا فإنكم لَعلكم لا تَروني بعد عامكم هذا.

أيها الناس إنَّ الزمان قد استدار كَهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ ورجب مضر الذي بين جُمادى وشعبان.

أيّ شهر هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم ـ فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال: «أليس ذا الحجة»؟

قلنا: بلى.

قال: «أيّ بلد هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم ـ فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال: «أليس البلدة الحرام»؟

قلنا: بلى.

قال: «فأيّ يوم هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم ـ فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال: «أليس يوم النحر»؟

قلنا: بلى.

قال: «فإِنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا.

وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.

ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يَضرب بعضكم رقاب بعض.

ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أنْ يكون أوعى له من بعض من سمعه.

أَلاَ هل بلَّغت ، أَلاَ هل بلغت ، اللهم اشهد»[1].

«أيّ يوم أحرم».

قالوا: يوم الحج الأكبر.

قال: «فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا.

أَلاَ لا يجني جانٍ إلاّ على نفسه ، ولا يجني والد

(١) هذه الخطب التي خطبها ﷺ في حجته الأخيرة يوم النحر وأيام التشريق ، ويروى بعضها يوم عرفة كما في بعض روايات الطبراني ، وقد جمعت بعضها إلى بعض تيسيراً وتسهيلاً.

على ولده ، ولا ولد على والده[1] .

ألا إنّ المسلم أخو المسلم ، فليس يحل لمسلم من أخيه شيءِ إلاّ ما أحلَّ من نفسه .

ألا وإنّ كل رباً في الجاهلية موضوع ، لكم رؤوس أموالِكم؛ لا تَظلمون ولا تُظلمون ، غير ربا العباس فإنه موضوع كله[2] .

أَلاَ وإن كل دم في الجاهلية موضوع ، وأول دم أضعه من دم الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل .

ألا فاستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عوان[3] عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلاّ أَنْ يأتين بفاحشة مُبَيِّنة ، فإنْ فعلن: فاهجروهن في

(١) يعني: أن كل إنسان يُؤخذ بذنبه لا بجناية غيره .
(٢) فالربا بأنواعه كلها حرام .
(٣) أسيرات .

المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مُبرّح[١] فإنْ أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً .

ألا وإن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً :

فأما حقكم على نسائكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون[٢] .

ألا وإنَّ حقهن عليكم أن تُحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن .

ألا وإنّ الشيطان قد أيس أن يُعبد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم وسيرضى به»[٣] .

---

(١) أي : غير مُشق لا يخدش لحماً ولا يكسر عظماً .

(٢) فليس للمرأة أن تمكن من دخول بيت زوجها أحداً ولو امرأة إلا برضاه .

(٣) إلى هنا جاءت هذه الرواية في خطب يوم النحر كما في الترمذي و(المسند) .

«يا أيها الناس أتدرون في أيِّ شهر أنتم ، وفي أيّ يوم أنتم ، وفي أيّ بلد أنتم»؟

قالوا: في يوم حرام ، وشهر حرام ، وبلد حرام.

قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم.

اسمعوا مني تعيشوا.

ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا ، ألا لا تظلموا.

إنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه.

أَلاَ وإنّ كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة»[١].

«يا أيها الناس إنّ ربكم واحد ، وأباكم واحد ، أَلاَ لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ،

---

(١) إلى هنا وردت في خطب أيام التشريق كما في (المسند).

ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى ـ أَبلّغتُ» ؟ .

قالوا : بلَّغ رسول الله ﷺ[1] .

«يا معشر قريش : لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم، وتجيء الناس بالآخرة ، فإني لا أُغني عنكم من الله شيئاً»[2] .

يا أيها الناس مَنْ كانت عنده وديعة فليؤدها إلى مَن اتمنه عليها .

أيها الناس إنّ الشيطان أَيس أنْ يُعبد ببلادكم آخر الزمان ، وقد رضي منكم بمحقرات الأعمال ، فاحذروا على دينكم محقرات الأعمال .

أيها الناس إنّ النساء عندكم عوان ، أخذتموهن بأمانة الله تعالى ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، لكم

---

(١) إلى هنا وردت في خطب أيام التشريق كما في (المسند) .
(٢) وردت في الطبراني .

عليهن حق ، ولهن عليكم حق ، ومن حقكم عليهن أن لا يُوطئن فرشكم غيركم ، ولا يَعصينكم في معروف ، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل ، ولهن رِزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإنْ ضربتموهن فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح .

لا يحل لامرىء مِن مال أخيه إلا ما طابت به نفسه .

أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله فاعملوا به»(١) .

«هذا يوم حرام ، وبلد حرام ، فدماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، مثل هذا اليوم ، إلى يوم تلقونه .

وحتى دفعة دفعها مسلم مسلماً يُريد به سوءاً .

وسأخبركم مَنِ المسلم؟

المسلم مَنْ سَلم الناس من لسانه ويده ، والمؤمن

---

(١) وردت في خطب أيام التشريق كما في الطبراني .

من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمهاجر مَنْ هجر الخطايا والذنوب ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى»[١].

«والمؤمن حرام على المؤمن كحرمة هذا اليوم: لحمه عليه حرام؛ أن يأكله بالغيبة يغتابه ، وعرضه عليه حرام ؛ أن يظلمه ، وأذاه عليه حرام ؛ أن يدفعه دفعاً[٢].

ألاَ كُلّ نبي قد مضت دعوته إلا دعوتي فإني ادخرتها عند ربي إلى يوم القيامة .

أمّا بعد: فإن الأنبياء مكاثرون[٣] فلا تُخزوني ، فإني جالس لكم على باب الحوض[٤].

ألاَ لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم[٤].

---

(١) كما في (مسند) البزار برجال ثقات.

(٢) كما في رواية الطبراني.

(٣) أي: يتباهون أيهم أكثر أتباعاً.

(٤) كما في رواية الطبراني.

ألاَ لعلكم لا تروني بعد عامكم هذا ، ألا لعلكم لا تروني بعد عامكم هذا ، ألا لعلكم لا تروني بعد عامكم هذا.

اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وحجوا بيتكم ، وأدوا زكاتكم طيبة بها أنفسكم: تدخلوا جنة ربكم عزَّ وجل»[1].

«أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون»؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت.

فجعل النبي ﷺ يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: «اللهم هل بلغت ، ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت»[2].

* * *

---

(١) كما في رواية (المسند).

(٢) كما في مسلم.

آداب الزيارة ومطالبها

ينبغي للزائر عندما يتوجه للزيارة أن يُكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة ومعالمها زاد من الصلاة والسلام.

ورضي الله عن القائل:

فما هــذه إلا ديــار محمــدٍ ﷺ
وذاك سنــاهــا يغتــدي ويــروح
إلا فما للــركــب زاد اشتيــاقهــم
فكــلٌّ مــن الشّــوق الشــديــد يصيــح
وقد مُدَّت الأعناق شوقاً وطرفها
إلى النور من تلك الديار لُمُوح
رأت دار مــن تهــوى فــزاد اشتيــاقهــا
وَمَــدْمعهــا فــي الــوجنتيــن سَفُــوح

ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ﷺ ، وأنْ يُسعده بها في الدارين.

ويقول: **اللهم افتح عليَّ أبواب رحمتك ، وارزقني في زيارة نبيك ﷺ ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك ، واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول.**

ثم إذا انتهى إلى المسجد وتقدم للزيارة ؛ ينبغي أن يأتي القبر الشريف من جهة القبلة ، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب ، ويقف قبالة وجهه الشريف ﷺ ، على نحو أربع أذرع من جدار القبر الشريف تأدباً[1] ثم يسلم بدون أن يرفع صوته عالياً ، بل يكون بين السر والجهر ؛ تأدباً معه ﷺ.

ففي البخاري ، أن عمر رضي الله تعالى عنه قال لرجلين من أهل الطائف: (لو كنتما من أهل البلد ـ أي:

---

(١) كما نص عليه النووي والغزالي وغيرهما.

المدينة ـ لأوجعتكما ضرباً ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ).

وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: (لا ينبغي رفع الصوت على نبيٍّ حياً أو ميتاً).

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد ـ أي: يدق ـ والمسمار يُضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد النبوي ، فترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله ﷺ.

وقد عمل سيدنا علي رضي الله تعالى عنه مِصْراعي داره بالمناصع ـ أي: خارج المدينة ـ لئلا يتأذى رسول الله ﷺ بصوت الخشب وهو يُصنع.

فيجب الأدب معه ﷺ كما هو قبل الوفاة.

ويقول الزائر بحضور قلبٍ ، وغض طرفٍ وصوت ، وسكون جوارح وإطراقٍ: **السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا خيرة خلق الله ، السلام**

عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا قائد الغُرِّ المحجّلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين ، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين ، جزاك الله يا رسول الله أفضل ما جازى نبياً ورسولاً عن أمته ، وصلى الله عليك كلّما ذكرك الذاكرون ، وغفل عن ذكرك الغافلون .

أشهد أنْ لا إلّه إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحتَ الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده[1] .

وإن كان أحد أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فيقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان ابن فلان .

---

(١) ومن ضاق وقته عن ذلك أو عن حفظه فليقل بعض هذه الصيغة المذكورة .

ثم يتأخر عن يمينه قدر ذراع فيسلم على سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه فيقول: **السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين ، السلام عليك يا مَنْ أيَّد الله به يوم الردة الدين ، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، اللهم ارض عنه وارض عنا به.**

ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فيقول: **السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا مَن أيَّد الله به الدين ، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، اللهم ارض عنه وارض عنا به.**

ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه الحبيب الأعظم ﷺ فيحمد الله تعالى ويُمجده ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويتوسل بالنبي ﷺ ، ويتشفع به إلى ربه سبحانه ، ويدعو لنفسه ولوالديه ، وأصحابه وأحبابه ، ومن أحسن إليه ، وسائر المسلمين ، ويجتهد في إكثار الدعاء والتضرع ، ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ﷺ ، ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبة نصوحاً ،

ويكثر من الصلاة والسلام عليه فإنه ﷺ يسمعه.

ثم يأتي الروضة الشريفة بين القبر الشريف والمنبر كما في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي» ويكثر فيها من الصلاة والدعاء.

زيارة البقيع ومسجد قباء:

وينبغي للزائر بعد زيارته ﷺ أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة، والآثار المباركة، والمساجد التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام؛ لنيل الخير والبركة، فيخرج إلى البقيع لزيارة أهله، فإنّ أكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته ﷺ وبعد وفاته مدفون بالبقيع، وكذلك سادات أهل البيت والتابعين.

وروي عن مالك قال: مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف.

وكذلك مات بها أمهات المؤمنين سوى السيدة

خديجة فإنها بمكة ، والسيدة ميمونة فإنها بِسَرِف .

وقد كان ﷺ يخرج آخر الليل إلى البقيع ويقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» .

وينبغي أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة ، فقد كان ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً ، فيصلي فيه ركعتين .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأتيه في كل سبت ويقول : رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت .

وروى الترمذي وغيره ، عنه ﷺ أنه قال : «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» فليكثر الإنسان من الصلاة فيه .

وينبغي الإكثار من الصلاة في المسجد النبوي ، لما في البخاري وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أنَّ النبي ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» .

فإذا أراد الخروج من المدينة والسفر يستحب له أن يودّع المسجد النبوي بركعتين ، ويدعو بما أحبَّ ، ثم

يأتي الحضرة الشريفة فيسلم كما سلَّم أوّلاً ، ويدعو بإلحاحٍ وتضرع ، ويودِّع النبي ﷺ ويقول: **اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ، ويَسِّرْ لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلةً بمنّك وفضلك ، وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وَرُدَّنا سالمين غانمين إلى أوطاننا آمنين.**

ويقول: **غير مودَّع يا رسول الله.**

ويجتهد في دمع العيون فإنه من علامات القبول.

ويتصدق بما تيسر ثم ينصرف متحسراً على مفارقة الحضرة النبوية.

ومن سنن الرجوع أن يكبر على كل شَرف من الأرض ويقول: **آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده.**

ويرسل الخبر إلى أهله بقدومه ، ولا يبغتهم فإنه مَنْهيٌ عنه.

فإذا دخل بلدته بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين إن لم يكن وقت مكروه ، ثم يدخل منزله ويصلي فيه ركعتين ، ويحمد الله تعالى ويشكره على توفيقه.

وصيـة لـلحجـاج وللـزائـريـن :

عليكم بالوُدّ واللطف مع أهل الحرمين ، وإياكم والشدة والعنف معهم ، فإن أهل مكة جيران بيت الله تعالى ، وأهل المدينة جيران رسول الله ﷺ ، فأدوا الجـوار حقـه ، واحتفظـوا بحـرمتـه ، فقـد قـال ﷺ : «ما زال جبريل يوصيني بالجار» ولم يخصّ جاراً دون جارٍ ، سيما أهـل المدينـة المنـورة فعاملهـم بالبشـر والحسنى ، ولِيْن القول والجانب ، فإنهم أهل طيبة ، وإنهم أهل الخير والسعادة بمجاورة الرسول ﷺ ، واحفظ قلبك من النقمة عليهم فإنهم الطيبون الأخيار ، فقد ورد أنَّ المدينة تنفي خبثها وينصع طيبها.

ولله در القائل :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال غيره:

هناءكموا يا أهل طيبة قد حَقّاً
فبالقرب من خير الورى حُزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكمو إلى
سواها وإن جار الزمان وإن شقَّا
فكم مَلِكٍ رَام الوصول لمثل ما
وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
تَرون رسول الله في كل ساعة
ومَنْ يَره فهو السعيد به حقاً

ما يقال لمن يقدم من الحج وما يقوله :

روى ابن السني ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الحج.

فمشى معه ﷺ فقال: « زَوَّدك الله التقوى ياغلام ،

ووجَّهك في الخير ، وكفاك الهمَّ».

فلما رجع الغلام سلَّم على النبي ﷺ فقال: «يا غلام قَبِلَ الله حجك ، وغفَر ذنبك ، وأخلف نفقتك».

وينبغي للحاج أن يَدْعوَ بالمغفرة لمن يزوره أو يسلم عليه فإنه مجاب ، لما روى البيهقي عنه ﷺ أنه قال: «اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج».

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

وصلى الله العظيم وسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه وأزواجه وذريته كلما ذكره
الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
صلاةً وسلاماً دائمين إلى أن
يقوم الناس لرب العالمين
والحمد لله رب العالمين



مناسك الحج

مكتبة دار الفلاح